تعليمية النص المدرسي
ماستير 1 لسانيات عربية
أ.د محمد مرتاض
قسم اللغة والأدب العربي
جامعة تلمسان

التعبير... والكتابة الإبداعية

القسم الأول: التعبير

التعريف:

ليس من باب التضخيم و لا المبالغة أن نؤكد بأن التعريف العام للتعبير ينصرف إلى ماء معان متعددة تتشعب إلى مدا ليل مختلفة، و التعبير قد يكون بالإشارة، و قد يكون بالإيماء و قد يكون بالموسيقى، و قد يكون بالرسم و قد يكون بسائر الفنون الجميلة الأخرى كالتعبير المسرحي و التعبير الشفوي...
بيد أن الذي يهم – بحكم تخصّصنا – هو التعبير اللّغوي الذي يعني الإفصاح عن خبايا النفس، و الكشف عمّا يروج في الدّهن، أو يجول في الخاطر، و أولئك كلّه يتمّ نقله بواسطة ألفاظ و تراكيب تصاغ بأسلوب معبّر، سواء أكان ذلك بالنطق المباشر، أم بالكتابة.

الهدف:

ممّا هو شائع أنّ لكلّ فنّ هدفا معيّنا، و التعبير بدوره له غاية تربوية تتحلّى في ربط علاقة تواصل بين البث و المتلقي، و إقامة جسر لغوي بينهما يكشف كلّ واحد منهما عمّا يجيش به خاطره من تجارب، و يبثّ عبر الرسالة مشاعره و أحاسيسه، و هذا التواصل هو الذي يثبّت الآصرة بين الجيران، و هو الذي يتيح للمرء أن يعيش في وئام مع أفراد عائلته، و مع مختلف المجتمعات، و لو لا هذا التبادل اللغوي، و هذه العلاقة التعبيرية لما تأتى للبشر أن يتعايشوا فيما بينهم، و يؤسّسوا خلايا و نظما حضارية مختلفة.

الوظيفة:

مهما تتعدّد الآراء، و تتقاطع التعاريف و الأهداف، فإنّ التعبير لا يكاد يخرج عن وظيفتين أساسيتين:

1- وظيفيّة بحث، و هذه تتيح للمرء أن يحصل على زاده التعليميّ في محيط المدرية، أو في المحيط الاجتماعي بعامة؛ و هذه الوظيفة متعددة العناصر يجدر توضيح بعضها مثل الحكايات، و الرسائل، و المناقشة، و المحادثة، و هلّم جرّا...

2-وظيفة إبداعية: و هذه أسمى ما يصل إليه المرء بعد المراس الطويل، و التعلم الجادّ المتواصل، و حين يبلغ المرء هذه الغاية يكون بإمكانه التعبير عن مشاعره و أفكاره، و قدرته على أن ينقل أفكار الآخرين أو يستنشقها من رؤاهم و مشاعرهم متمثّلا غيّاها، و متخيّلا كثيرا منها، و هي أمور ليست بالهيّنة و لا المتيسّرة، و لا تطاوع إلاّ المتمرّسين فيها و المالكين لأمرها، و الممسكين بزمامها، لأنّ ذلك لا يتمّ بلغة ركيكة، و لا بألفاظ كزّة غريبة، و لا بأسلوب مبتذل متدنّ، و لكنّ ذلك يقولب في عبارات راقية، و يصاغ في تراكيب شعريّة منشقة، بعيدة عن الحوشيّ و التردّي، و ملعقة بلثام اللغة السليمة و القواعد الصحيحة (و هي الطّامة الكبرى التي تنوء بكلكلها على جسم لغتنا الجميلة التي تعاني الأمرين، و تعيش هموم مع أهلها و لا سيّما في الصحافة المكتوبة و الناطقة، و معظم وسائل الإعلام، و حتّى داخل الحرم الجامعيّ، و في الثانويات...)

و الوظيفة الإبداعية هي التي أنتجت لنا مختلف الأجناس الأدبيّة، و الأشكال الشعريّة و الأنماط القصصيّة، و المذكرات الجامعية، و هلمّ جرا...

التعبير الكتابي:

ممّا هو متعارف عليه عند أهل التربية و رجال التعليم أنّ التعبير يطلق على الإنشاء، و أنّ الإنشاء في تعريفه اللغوي يعني الإبداع... و الإبداع ذو مدا ليل مختلفة إلى درجة إن خصصّت له دراسات مستقلة كلما نتجت عن وظائفه المتشعبّة.

أمّا في الإصلاح، فإنّ الإنشاء يراد به التعبير الذي يكشف فيه الأديب أو الشاعر عن أحاسيسه و أفكاره و مشاعره.

و من المثالب الشائعة عند المبتدئين في الكتابة أن تحتمي بعضهم بأعمال غيرهم فينقلها إن كان الموضوع الذي يكتب فيه شبيها بما قرأه، أو يسطو على إعمال غيره و يعزوها إلى نفسه لأنّه يتأكد أنّما أروع أسلوب و أنقى ألفاظا و أسلم قواعد، و لذلك يجب على الأساتذة و المربّين أن يشجّعوا التعبير الشخصي و لو كان ضيف المستوى؛ لأنّ أصعب الأشياء ابتداؤها، و عليهم أن يكونوا يقظين تجاه الأعمال التي تقدّم لهم على أنّها لغلان أو علان؛ فقد يكون نصف البحث أو جلّه مسلوخا و ممسوخا – على حدّ قول ابن رشيق – و الرسائل و البحوث الجامعية أسوأ ما يمثّل ذلك؛ إذ تعوّدنا على أن تصلنا بحوث مأخوذة في جملتها عن السابقين من غير إشارة إلى مصدر أو إحالة على مرجع، و كان أصحابها ابتدعوها من

الغيب، أو اهتدوا إليها بعبقريّاتهم و إلهامهم و مواهبهم من غير تنافس أو خلفيّات ثقافية، و لمامات تاريخية.

أهداف التعبير الكتابي:

إنّ الأهداف العامة للتعبير تتمثل في منح المتلقي قدرة على الخطاب، أو الكتابة بلغة عالية، و بأسلوب رشيق، و بمعرفة واسعة تقضي به في نهاية الأمر إلى الاطلاّع على التراث الأدبي حيث يتسنّى له أن يفيد و يحافظ عليه. و ذلكم كلّه ينمّي ثروته اللغوية، و يربّي ذوقه الأدبي عن طريق استعراض الأساليب المختلفة، و تغذية عقله و خياله بما يقترح عليه من المعاني الراقيّة المبثوثة في الكتب و الدّواوين؛ حتى إذا اكتسب تجربة مقبولة استطاع هو بدوره أن يبدع و ينشىء؛ أي يعبّر تعبيرا كتابيّا لا شك أن يكون أول الأمر بسيطا؛ لكنه يظل يتبلور أكثر كلما تقدم به العمر، و هو ما يجعله يكتسب ثقة النفس و قدرة على خوض عمار الكتابة بشجاعة، لأنّ الإنسان " لا يولد شاعرا و لا قاصّا و لا موسيقيا؛ و لكن بحكم قراءته و مطالعته يزداد مخزونه الثقافي، و مع مرور الأيّام تصقل موهبته "[1]

اختيار الموضوعات:

إنّ من عسر الأمور و أصعبها في الحياة العامّة هو الاختيار، و يزداد الشيء تعقيدا إذا تعلّق بالجانب العلميّ، و كم عانينا أو شاهدنا مدى الحيرة التي تأخذ بتلابيب باحث ما هو يقبل على اختيار الموضوع.

و المدرّس الجادّ لمادّة التعبير ليس بدعا من هذه القاعدة، فهو دائم البحث، دائب الاطلاع على مختلف الموضوعات المعالجة من قبل باحثين سبقوه عمر أو ثقافة و كثيرا ما يتقمّص شخصية (طالبه) مفكّرا و مقدّرا، ثم مفكّرا و مقدّرا عسا هان يلفي موضوعا ملائما فينجح درسه، و تؤتى متابعه أكلها.

و ينصح المرّبون المدرّسين بأن ينوعوا في هذه الموضوعات: تارة بإرغام الطلبة على معالجتها و تحليلها و تارة أخرى بترك فضاء حرّ للطالب يتنفّس في أفقه الرّحب، و من شأن هذه الرحية أن تكشف للمدرس عن ميول طلبته، و تطلعه على هوايات كلّ و احد منهم، و اذكر- و أنا مدرّس في الثانويات – أنّ بعض طلبتي كان يبدع في موضوعات الحزن و الألم، و بعضهم الآخر كان يتفوّق في موضوعات الطبيعة، و فريقا ثالثا كان يميل إلى العزلة، فكنت أشعر بوحدته و خوفه و يأسه من خلال ما يدوّنه في الورقة...

[1]- مجلة الادب الاسلامي – ط، مؤسسة الرسالة – بيروت – مج 6 العدد، 24 سنة 1420ه (2000م) ص: 100 مقالة للأستلذ محمد طه حسين عنوانها: " النتاصّ في رأي ابن خلدون ".

و علّمتني التجارب أيضا أنّ التعبير الكتابيّ يحضر موضوعاته المدرسون و يهيّئون محاوره، و يعدّون خطته في وضوح، و يختارون عناصره في دقّة و منطقيّة، لكنّه في التعبير الشّفوي يقترح على الطلبة موضوعا معيّنا و يترك لهم مجال البوح بما في أحاسيسهم و مشاعرهم و ربما لا يتوصّل إلى ما كان قد سطّره من أهداف، و لكنّ ذلك لا ضير فيه، لأنّ الإصرار على الوصول إلى الهدف المتوخّى سيتمّ بعد الترميز و الإيحاء الّذين يقوم بهما المدرّس، و بعد الجهود المتكررة في إصرار و عزم.

و المواضيع المقترحة: يطبّق فيها المدرّس منهج التدرّج فينطلق من السهل إلى الصعب، و من البسيط إلى المركب، و من المعلوم إلى المجهول، و من المحسوسات إلى الأفكار المجرّدة، و هو في ذلكم كلّه لا ينسى دور الطّلبة في تمثيل المشهد أو الحدث، لأنّه هو بمثابة مخرج لا أكثر، أمّا البطولة فيتركها لهم مستثمرا تنافسهم، و مثيرا رغباتهم الثامنة كي يتسنّى لهم التحليق في عالم الخيال الخصب.

و من أهمّ الموضوعات التي ينصح بمعالجتها مع التلاميذ و تبعا للتنّوع و التغيير حتى لا يصاب الطّلبة بالضجر أو السأم نذكر:

- امجاد الماضي و الحاضر.
- مقاومة الاستعمار الفرنسي.
- مقاومة الصهيونيّة.
- القصص بأنواعه (التاريخي – الديني – الاجتماعي – التراثي – الأسطوري – الخرافيّ).
- الرسائل.
- تلخيص نصّ من كتاب.
- كتابة مذكّرات.

إعداد التعبير الكتابي:

يستبق التعبير الكتابيّ تحضير مركز يقوم به الأستاذ مع طلبته في حجرة الدّرس، حيث يهيأ مسامعهم و يثير مخيلتهم، و يجذبهم إلى الموضوع المرام، دافعا إيّاهم إلى البحث فيه عن طريق حوار مثمر تترك فيه الحرية للطلبة، و لا يتدخل المدّرس إلا حين يشعر أنّهم عجزوا عن الوصول إلى الفكرة الحليّة الصحيحة، أو الخطأ في التراكيب (و الأفضل أن يكون التصحيح ذّاتيا).

كيف يقع تحضير التعبير؟.

يبدو السؤال بسيطا جدّا، و لكن الأجوبة عليه ستكون متشعبة، لأنه من الخطأ في التقدير أن نحدّد للمدرس طريقة واحدة لا ثانية لها، و لكن نورد بعض هذه المعطيات، و كلّ واحد يختار ما يراه ملائما؛ و منها:

أولا: الأسئلة:

يلقي المدرس الأسئلة التمهيدية على الطّلبة؛ و عن طريق الأجوبة يستنتج الموضوع، حتى إذ اتضحت الرؤى عند طلبته أخذ ألفاظا و عبارات يصوغ منها الموضوع؛ مسجلا إيّاه في السّبّورة.

و عندئذ يكون قد أزاح كثيرا من المصاعب؟، فيقرأ هذا الموضوع قراءة نموذجيّة معبرة، ثم يأمر بعض طلبته بقراءته قراءة فرديّة بعد ذلك.

و يتمّ اختبار الطلبة في مدى فهمهم للموضوع و إدراك فحواه بوضع تصميم لهم أجزائه و عناصره بمشاركتهم جميعا، حيث يطلب منهم، بالتناوب، أن يضعوا خطوطا تحت الكلمات أو العبارات الرئيسة التي يمكن أن تكون عناصر أوليّة.

و للسبّورة في التعبير دور هامّ تؤدّيه، و على المدرّس أن يستغلّ هذا الدّور؛ إذ إنّه يجب عليه أن يقسمها إلى قسمين:

أمّا أحدهما فيخصّصه لتسجيل النقط أو الأسئلة الرئيسة.

و أمّا الآخر فيثبت فيه أحسن الأجوبة المستنبطة من المحاورة أو المحادثة.

ثانيا:

- التسجيل المسبق للموضوع في السبورة.
- تسجيل الموضوع المقترح في السبورة قبل دخول الطلبة إلى قاعة الدرس.
- تبيين ما اشتمل عليه من غموض أو إبهام.
- فتح باب المناقشة للطلبة دون التقيّد بتسجيل عناصر و أفكار معيّنة.

ثالثا: تدوين الأسئلة.

- تدوين الأسئلة التي أعدّها المدرّس في السبورة.
- مطالبة الطلبة بالأجوبة عنها تلقائيّا مع تزويدهم بألفاظ و عبارات يثرون بها التراكيب و يضيفونها إلى مداركهم.

رابعا: التلخيص:

- تلخيص موضوع مطوّل كان قد قرئ من قبل.

خامسا: كتابة قصّة:

- كتابة قصة بعد سردها و تدوين عناصرها في السبورة.

سادسا: التحويل:

- تحويل قصة شعرية إلى قصة نثرية.

ملاحظة:

لا تنجح الاقتراحات السابقة إلا إذا راعينا الملاحظات الآتية:

- تعويد الطلبة على التفكير مطول قبل البدر إلى الأجوبة كتابيّا أو شفويّا.
- تدريبهم (أو إجبارهم) على المسودّة لأنّها هامّة.
- تنبيههم إلى ضرورة التركيز و استحضار المقولة البلاغيّة الشهيرة " خير الكلام ما قلّ و دلّ ".
- إغراؤهما – مع شيء الصّرامة – على تطبيق القواعد و إقناعهم بأنّ الشكل و المضمون متلازمان متكاملان.

تصحيح التعبير الكتابيّ:

إنّ التصحيح لا يقلّ أهمية عن التحضير، لكنّ التصحيح لا يفهم منه أن يقوم المدرّس بتصحيح الهفوات دفعة واحدة، بل إنّ ذلك يتمّ على مراحل، و وفق برنامج مخطّط: فتارة ينصرف التصحيح إلى الهفوات الإملائية، و تارة إلى الهفوات النحوية، و طورا ثالثا إلى الهنات التعبيريّة؛ و هلمّ جرّا...

بيد أنّ هذه المرحليّة التي نصحنا بها لا تحول دون أن يشمل التصحيح مختلف الجوانب المكونة للموضوع بصفته جسدا واحدا و (الخطّة – الترتيب – التنسيق – الأفكار – المعاني – القواعد – التراكيب – الأسلوب – الألفاظ – التأثير – الإبداع...).

و يراعى في تصحيح الهفوات؛ أن يدوّن الأستاذ عنده أهمّ الأخطاء، و يسجل اسم الطالب الذي يقع في هذا الخطأ؛ لكن من غير التصريح باسمه (لأنّ هذا يتيح له مراقبة الأعمال التي يقوم بها الطلبة). و يجب أن يتمّ ذلك كلّه بعد إرجاع الأوراق إلى الطلبة.

و في نهاية التصحيح: يستحسن أن تقرأ الموضوعات التي أجاد أصحابها المعالجة، أو التي حققت أهمّ شروط النجاح.

المحاضرة الثّانية:

مذكرة نموذجية:

القسم: السنة الثانية ثانوي
المادة: التعبير
الهدف: تطبيق القواعد السابقة، و توظيف الأساليب التي أخذت من النصوص و المطالعة.

المراحل و الخطوات:
- تمهيد على شكل أسئلة للتشويق.
- تسجيل الموضوع في السّبورة.
- قراءته قراءة نموذجية من الأستاذ
- قراءة الموضوع من بضعة طلبة.
- أسئلة حول الموضوع.
- تكليف بعض الطلبة بتحديد عناصره (بمساعدة الأستاذ).
- توضيح العناصر عن طريق وضع سطر تحت كلّ جزء (بطباشير ملون).

الموضوع:
قيل: " الاستعمار الثقافي أشدّ أنواع الاستعمار خطرا / به تغنى الدولة المستعمرة / و تزول شخصياتها / و تصب في قالب الأمّة العاملة على نشر ثقافتها ".
فكيف تقاومه و تحصّن أو تخلّص بلادك منه ؟
المقدمة: تحديد أنواع الاستعمار، و توضيح أضرار كلّ نوع ؟
الموضوع: (تفصيل العناصر).
- تسجيل أهمّ هذه العناصر في السبورة، و التي يقترحها الطلبة بتوجيه من المدرس.

أهم العناصر التي اقترحت لهذا الموضوع:
- تبيان الاستعمار الثقافي و ابراز أشكاله في التعليم، و العدالة، و المتاجر (الإقبال على الصناعة و السلع الأجنبية) و الصحافة (التي تتعاطف مع الاستعمار) و الإذاعة (بعض الإذاعات أنشئت من أجل خدمته و إعلاء شأنه) و التلفزة (ترويج سلعه و التشهير لبضاعته) و الهوائيات المقعّرة التي أصبحت تغطي مختلف السطوح و الشرفات، و تبعث برامجها إلى ملتقطيها بياتا و نهارا..

مساوئه (مضاره):
- انعدام شخصية الدولة المستعمرة.

- زوال مقوّماتها الأساسية و لا سيما اللغة.
- تفكّك الروابط الاجتماعية بسبب الثقافات الأجنبية.
- تسميم الأفكار و غرس المذاهب الهدّامة و الآراء الفاسدة في نفوس أبنائها (العقل العربي – الأصل العربي – العمل العربي – الموعد العربي – الخدمة العربيّة...).

كيفية مقاومته:

- نشر اللغة الوطنية، و جعل التعليم في جميع المراحل و في مختلف التخصصات بهذه اللغة.
- تشجيع المؤلفات و الكتب التي كتبت – و تكتب – باللغة الوطنية للأمة.
- إيقاظ الروح الوطنية، و إثارة الحماس في نفوس الأفراد كي يشعروا بقيمة استقلالهم الثقافي.
- جعل الصحافة و الإذاعة و التلفزة و دور الخيالة أداة طيّعة لنشر الثقافة العربية.
- تنظيم محاضرات دورية توضّح للناس أمجادهم؛ و تبيّن لهم عظمة و ثراء تراثهم الثقافي، و مكانته في التاريخ القديم، و التاريخ الحديث.
- توضيح الجهود التي تقوم بها بلادنا في ذلك كلّه.

الدعوة إلى الإقبال على الثقافة العربيّة:

- جعلها في المنزلة الأولى و في المحلّ الأوّل من الاهتمام.
- الاقتناع باللغة العربية، و بالقيم العربية الإسلامية.

خاتمة:

- الاستمساك بثقافتنا العربية الإسلامية، و حتميّة محاربة الاستعمار الفكري لتكتمل شخصيتنا، و تتضح مبادئنا و ترسخ في الأذهان أكثر.

(و هنا يكون الموضوع قد استوفى عناصره و صار واضحا في أذهان الطلبة، و هو ما يجعل المدرّس مطمئنا إلى أنّ طلبته سيحرّرون موضوعا مقبولا في منازلهم).

المحاضرة الثّالثة
تصحيح التعبير الكتابي

القسم: السنة الثانية ثانوي.
المادة: تصحيح التعبير الكتابي.
الهدف: التغلّب على ما يعيق الطلبة في كتاباتهم الإنشائية من هفوات مختلفة.

- تعويد الطلبة على التعبير السليم.
- تذكيرهم ببعض القواعد السابقة.
- حثهم على توظيف الأساليب الإنشائية الجميلة.

سير الدرس:

- تسجيل الموضوع في السبورة قبل دخول الطلبة إلى القسم.
- تفتح السبورة بعد الجلوس المستقيم، و الهدوء التامّ.
- عرض سريع للموضوع قراءة أو إشارة.
- قراءة بعض الملاحظات التي دوّنها الأستاذ في أوراق الطلبة.
- التنويه ببعض الموضوعات.
- توزيع الأوراق التي حررت فيها الموضوعات على أصحابها.
- الشروع في تصحيح الأخطاء المشتركة فيها مرتبّة في السبورة داخل أعمدة منظمة (الهفوات الإملائية / النحوية...)
- تذكر الطلبة بالرّموز المتفق عليها آنفا (منذ بداية السنة الدراسية).

مثلا:

الخطأ الإملائي: خط منكسر (يوضع تحت الكلمة).
الخطأ النحوي: خط مستقيم (.....).
الخطأ الصرفي: خطّان متوازيان (.....).

- تنبيه الطلبة إلى ضرورة التصحيح الذاتي.

و بعد أن تتمّ التصحيحات المختلفة؛ يقوم الأستاذ بمراقبة بعض الطلبة (الضعفاء خاصّة) و يرشد كلّ من عجز عن فهم ملاحظة أو إشارة في موضوعه.

نموذج تقريبي للأخطاء المشتركة:

أ – الهفوات النحوية:

- كأنّ في ذلك (شرف) ←← شرفا (التذكير بالقاعدة).
- حتى (ينشغلون) (على) ← حتى ينشغلوا عن.
- أمّا من جهة أخرى (أغلق) ← فأغلق: جواب أمّا الشرطية.
- لم (يبقى) ← لم يبق: (التذكير بالقاعدة).
- القضاء على (للّغتهم) ← لغتهم: (التذكير بالقاعدة).
- ظهر (مصطلحين).

ب – الهفوات الصرفية:
- مساجد (جديد) ← جديدة.
- لابدّ (اعرف) ← أن اعرف.
- محاولة (إمناع) ← منع.
- الاستعمار (هي) ← هو.

ج – الهفوات اللّغوية:
- وسائل (الإعلام) ← أو الإعلام.
- (التراث) ← التراث.
- تعيش أزمة (خطيرة) ← خطرة.
- (الثلاثي) (الخطير) ← الثالوث الخطير.

د – الهفوات الإملائية:
- (الاستعمار) ← الاستعمار.
- (يناظلون) ← يناضلون.
- (سيطرة) عليه ← سيطرت.
- (يأمن) ← يؤمن.
- (وطأت) ← وطئت.
- (الظامرة) ← الضّامرة.
- (الفضاعة) ← الفظاعة.

ه – الأخطاء التعبيريّة:
- (شرح الفرق التعبيري " ظفر " و " ضفر".
- تشبيه الاستعمار بطوق يحيط بالعنق الطّوق:

يستعمل للتشبيه الجميل (أي إنّ التشبيه هنا ليس في محلّه).
- (لعب الاستعمار دورا) قام بدور / أدّى دورا...

و في نهاية هذا التصحيح نقرأ موضوعات مختارة للطلبة لا تتجاوز ثلاثة، أو بعض الفقرات الناجحة من هذه المواضيع الثلاثة؛ و تكون كالآتي:
- الموضوع الأوّل ← يقرأ في القسم الجيّد
- الموضوع المتوسط ← يقرأ في القسم المتوسط.
- الموضوع الأقلّ من المتوسط ← يقرأ في القسم تحت المتوسط.

و بعدئذ يفتح المجال للنقاش و الاستفسار إن بقى متسع من الوقت المخصص لمادة التعبير.

كلمة ختامية حول أهمية التعبير:

إنّ ما نسجلّه أخيرا هو أنّ لهذه المادة فائدة جلي و قيمة مثلى لأنّها هي التي تستكشف العناصر الموهوبة، و تزرع في الطلبة حبّ التنافس العلمي الشريف، و تدعوهم إلى شحذ الأذهان، و توظيف البنى و العبارات التي رسخت في ملكاتهم، و مع هذه المزايا كلّها، فإنّ المدّرسين يتهيبّون من هذه المادة و يزهدون فيها إلى درجة أنّ بعضهم يضرب صفحا عن تدريسها أحيانا، و السرّ في ذلك أنّ تدريسها يحتاج إلى سعة خاطر، و إلى استعداد فطريّ من المدرّسين قبل التلاميذ.

على أنّ الأمر لم يعد مقتصرا في أوروبا على هذه المادة وحدها؛ بل إن المراحل التعليمية في الجامعة مثلا و في الثانويات النموذجية ابتدعت لنفسها تجربة جديدة، و اخترعت طرائق تتماشى مع مواهب الطلبة و مداركهم خاصّة.... و ذلكم ما نستعرض له في الجزء الثاني من هذه المداخلة.

المحاضرة الرّابعة

الكتابة الإبداعية في الجامعة
بديلاً لتقنيات التعبير

إنّ العلوم الإنسانية ولا سيما الأدب، تتطلع دائما إلى الجديد، و نتوق إلى الحداثة ناشدة التطوّر و درء الرتابة والملل عمّا ألفته من مناهج متهرئة، وطرائق بالية، و لعلّ هذا الطامح إلى التجديد، والتواقان إلى التحديث يدفعاننا إلى أن نقترح على هذا الملتقى مادة ليست جديدة، ولكنّها تبدو فقط غير مقنّنة، وغير منتشرة عبر برامجنا الجامعية، و يتعلق الأمر هنا بما يسمّى " الكتابة البدائية "(Ecriture créative) هذه المادة رأيناها منتشرة في جامعة Grenoble على يد الأستاذ - Gruca التي تصطنع أيضا بمادة تعليمية أخرى (هي بيداغوجية الأدب) pédagogique de la littérature .

لماذا الكتابة الإبداعية ؟

لعلكم تملكون الجواب أفضل مني، و هو أنّ مادّة مرتبطة بالإبداع (بمختلف صفوفه وفنونه) والأدب أكثر من المواد الأخرى يعني بإتاحة الفرصة للخيال و الدعوة إلى تشجيع المبادرات التي كثيرا ما تؤول إلى نتائج قيّمة في هذا المجال .

وقد يبالغ أحدنا فيرى أنّ الفنان وحده هو الّذي يبدع، وليس كلّ من هبّ و دبّ. بيد إننا نرد على هذا الاعتراض و نؤكد أن الجامعة أم الاختراع. من أحرامها تنبع الشعراء و من مدرّجاتها تطلع شجرة الفكر و الفنّ عموما.

وتختلف الآراء في تعريف الإبداع، و لكنّها لا تخرج عن أنّه هندسة، و إن يكن هناك مهندس و مهندس، و بصورة مختصرة فإنّ الإبداع يعرّف بأنّه " غير التقليد، الإبداع عمل جديد ". [2]

على أننا لا نلج في متاهات التعريفات المختلفة للإبداع، لأنّ كثيرا من الدارسين يربطون هذا التعريف باتجاهات، فيبنون بذلك تعريفهم له على أساس هذا الاتجاه أو ذاك من اجتماعي إلى بنيوّي إلى تاريخي إلى جماليّ، و ان كنا نميل إلى التعريف الذي ينصبّ في مجال الأدب فحسب؛ أي أدبية الأدب، وإن كان الإبداع أيضا الحقيقي أيضا لا يدور غلاّ فلك ثنائي بين المرسل و المرسل إليه (أي التلاقي بين النصّ و القارئ) ومع التطور الذي يحدث في هذا الإبداع " يكسب العمل الإبداعي مشروعيته الأسلوبية... " [3]

و من البديهي أن التعريف لا يعنينا كثيرا لأنّ مبثوث في مختلف المفاهيم و كتب الدراسات بصورة عامّة و إنما الذي يعنينا هو التركيز على ما نطمح أن يعمّ أقسام اللغة العربية و آدابها في جامعاتنا الجزائرية أو في ثانوياتنا بعامّة.

---

[2]- البرتيبودية Albert Thibaudet النقد الكلاسيكي، اعلامه و أصوله، ت : ابراهيم الكيلاني طلاس، دار – دمشق – الطبعة الأولى 1989 ص 154 :.

[3]- تنظر دراسة للأستاذ عبد الناصر امباركية نشرت في جريدة المساء، ع2347 الصادرة بتاريخ 7 ذي القعدة 1413ه 29 أبريل 1993 تحت عنوان " نظرية القراءة في الإبداع الأدبي ".

و لمادة الكتابة الإبداعية أهداف تربوية كثيرة؛ منها أنها:

- تنمّي موهبة الطالب – إن وجدت طبعا - .
- تساعد على تفتيق هذه الموهبة.
- توسّع مداركه و تثرى أفقه الفكري.
- تبعث النشاط حثيثا بين الطلبة.
- تميت الرتابة التي كثيرا ما تصاحب مادة تقنيات التعبير.
- تجبر الأستاذ على تحضير درسه بإتقان و تقنية معا.
- تنشّط الطبع و التحرير على مستوى كليات الآداب.

أ- المحاولة الأولى

تنطلق الكتابة الإبداعية بدءا بالنموذج الأسمى (الشخصي) مثلا.

أ-1 – المذكر:

اسمي سعيد.
أطمع في عمر مديد
وفي رأسي حلم بعيد
أن أكرع من كلّ جديد
بيد أنّ أسرار الوصول حديد
لا تقتم إلا بالجهد الجهيد

أ-2 – المؤنث:

اسمي زبيدة
لا أحبّ أن أكون مثل دليلة
عروبتي و تاريخي و قيمي خليدة
مطامحي و آمالي عديدة

ب – الانتقال إلى تقليد الأساليب:

(انطلاقا من الأمثال و الحكم)

- مع مراعاة التطور في الصعوبة و السهولة -

مثلا :

- قبل الرماد تملأ الكنائن
- أحشفا و سوء كيلة؟!
- العلم في الصّدور لا في السطور

- من ضعفت همته، ضعفت منزلته
- رسول الموت الولادة...

ج – النموذج الشعريّ:

ورد الربيع فمرحبا بوروده.
و بذور بهجته و عطر وروده.
فيكون النموذج المحتذى مثلا:
سكت الرضيع فمرحبا بسكوته و بذور بسمته و حلو حبوه
أو : ورد النسيم فمرحبا بوروده.
ويعطر محمله و صوت حفيفه.

على أن يراعى في تقليد هذا النموذج ما يلي :

- الحفاظ على الوزن (حسب البحر)
- احترام حرف الرويّ
- تغيير المدلول
- ترك الحرية للطلبة كي يعبّروا عن أحاسيسهم فتتفتق ملكاتهم و تتقوّى مواهبهم.

د – الانتقال إلى " الإبداع "

(شبه الحقيقي بعد ذلك)

- دراسة حكايات و أقاصيص.
- إعادة تأليفها
- تقليصها في صفحة
- اختيار نهاية أخرى لها.
- تغيير شخصية من شخصياتها
- توجيه صورة من صورها بغير ما أراده الكاتب الأصليّ

ه – الخلوص إلى التأليف (الإبداع)

في نهاية المطاف: نصل إلى تشجيع المواهب التي تبرز في مجال هذا الحقل من الأدب أو ذاك.